الحياة البرزخية في آراء محمد بن جرير الطبري

الكاتب المسوول :سيد جعفر موسوى زاده[1]
أ. د. ابوالفضل روحى[2]

الملخص

تعدّ الحياة البرزخية من العقائد المهمّة بين المسلمين؛ حيث يُلاحظ أنّ العديد من المواقف العقائدية تُبنى على أساس رفضها أو إثباتها. تعني الحياة البرزخية وجود حياة بجميع ملزماتها نحو الإدراك والشعور والوعي وغيرها، بين عالمي الدنيا والآخرة. مسائل الشفاعة والتوسل وزيارة القبور وغيرها، تعدّ من النقاط المختلف عليها عند أهل السنّة، لهذا يمكن تثبيت جميع المسائل المذكوره أعلاه بإثبات الحياة البرزخية. في هذه الدراسة يُسلّط الضوء على مناقشة آراء الطبري، الذي يعّد من أعلام مفكري أهل السنة، تجاه هذا الموضوع. في هذه الدراسة بعد تقرير موجز من آراء أهل السنة تجاه الحياة البرزخية، تتمّ الإشارة إلى المباني والمناهج التفسيرية التي سار عليها الطبري، وذلك بالاعتماد على مؤلفاته، وفي الأخير التفسير الذي قدّمه حول الآيات المرتبطة بالحياة البرزخية. يعتبر الطبري الحياة البرزخية ثابتة من خلال الاستناد إلى عدد من الآيات؛ منها الآيات التي تتضمن على حياة الشهداء وارتزاقهم بعد الممات، و الآيات التي تشير إلى عذاب المذنبين، وتليها الآيات التي تثبت سماع الأموات بعد موتهم. تعدّ جميع هذه الآيات من ضمن ما اعتمد عليه الطبري في تقبّل الحياة البرزخية. توجد العديد من الآثار المترتبة على هذا الرأى، منها: تقبّل قضية التوسّل بالأموات وتصديق قيام الاحتفالات ومراسم الحداد لهم، والاعتقاد ببناء القبور وزيارة الأموات وغيرها.

[1] طالب دكتوراه فى جامعه اميرالمومنين عليه السلام الاهواز
[2] استاذ جامعه الشهيد بهشتى طهران

الكلمات الرئيسية

البرزخ، الحياة، البرزخية، القبر، الموت، الطبري.

المقدمة

تعني البرزخ في اللغة، الفاصل والحائل بين الشيئين، وفي الاصطلاح تعني عالَماً بين الدنيا والآخرة. يُلاحظ وجود هذا المصطلح في القرآن والروايات المختلفة، ما يوثّق بأن زعم المسلمون حول عالم البرزخ أمر اجماعي وتوجد العديد من الدراسات في هذا المجال. أمّا هذه الدراسة فتتمحور حول الحياة البرزخية؛ والتي تعني وجود الإدراك والشعور في هذه الحياة. يعدّ هذا الأمر محلّ اختلاف بين المسلمين وتوجد العديد من الآراء حوله. بما أنّ بعض أهل السنة ينفون وجود الحياة البرزخية، إضافة إلى جميع ما يُنسب إلى الأموات من توسل وعزاء وزيارة وغيرها، ونظراً للمكانة المرموقة التي يتميّز بها الطبري بين مفكريّ أهل السنة، إذن دراسة آرائه تتميّز بأهمية بالغة. يهتمّ هذا البحث بدراسة آراء الطبري تجاه الحياة البرزخية، إضافة إلى المعنى المقصود من هذه الحياة بالاعتماد على مؤلفات الطبري، ثمّ الدلائل التي استند إليها هذا المفكّر في تثبيت مدعاه، يليه تحليل مباني الطبري في الأبعاد المختلفة في علم الوجود ونظرية المعرفة، والمنهجية. يعتبر الطبري عالم البرزخ بأنه ثابت، وذلك تحديدًا في ملحق

الآيات التي تشتمل على هذا الموضوع، واستند إلى عدد من الآيات والروايات لإثبات مزعمه. فبالإستناد إلى هذه الدلائل إنما يحاول إثبات الحياة البرزخية إضافة إلى وجود البرزخ. فهو يعتقد بأن عذاب القبر وسماع الأموات أمر ثابت، وهذا إنما يثبت اعتقاده بالحياة البرزخية. توجد بعض الآثار التي لها صلة بالحياة البرزخية وفق آراء الطبري، نحو صحّة زيارة الأموات والاستغاثة والتوسل وغيرها.

لا بدّ من التنويه إلى وجود مبحث الحياة البرزخية في مؤلفات أهل السنة، ولكن ليس بهذا العنوان تحديدًا، وإنما بعناوين نحو عذاب القبر وسماع الأموات وغيرها، و لا يمكن الحصول على فصل محدّد بعنوان الحياة البرزخية وتفاصيلها لديهم. يُلاحظ وجود هذا الأمر تحديدًا في مؤلفات الطبري؛ حتى يمكن معرفة اعتقاده بالحياة البرزخية من خلال كلامه في تفسير الآيات التي تتضمن على وجد العذاب والأجر بعد الموت وقبل القيامة، أو تفاصيل أخرى نحو سماع الأموات.

أبو جعفر محمد بن جرير بن كثير بن غالب الطبري الآملي(224–310هـ)، مؤرخ وأحد رجال علم الحديث، ومن فقهاء ومفسريّ أهل السنّة. يوجد شخص آخر من أعلام الشيعة يُعرف بالطبري أيضًا، ويتشابهون بالاسم واسم الأب والكنية، هو أبوجعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، وهناك بعض الأشخاص الذين عرفوا هذان الشخصان واحد، بسبب تشابه اسميهما، وأخطؤوا في النقل عنهما. الغاية من إقامة هذا البحث هو دراسة آراء أبوجعفر محمد بن جرير الطبري السنيّ المذهب.

1) المفاهيم

1–1) الحياة البرزخية: يتكوّن هذا المصطلح من مفردتي «الحياة» و «البرزخ»؛ فالحياة في اللغة نقيض الموت، وتعني الرشد والنموّ والبقء والمعيشة، كما جاءت بمعنى الربح والمكسب.(الدشتي، 1378ش، ج4: 692 وصليبا، 1393ش: 326).

مفردة البرزخ[3] أيضًا تعني الفاصل والحاجز بين الشيئين. تطلق هذه المفردة في المعنى الإصطلاحي في علم الكلام على العالم الذي يلي الموت، كما أطلقت على الفاصل بين الدنيا والآخرة، واستخدمت بمعاني نحو عالم المثال وعذاب القبر. إذن عالم البرزخ هو العالم الذي يقع بين الدنيا والآخرة، ونظرًا لوجوده بين هذين العالمين أطلق عليه «عالم البرزخ».(المكارم الشيرازي، 1374ش، ج14: 338 وابن منظور، 1414هـ، ج3: 8).

تعني الحياة البرزخية بالاعتماد على التعاريف المذكوره أعلاه، وجود حياة بمواصفات نحو الإدراك والشعور وغيرها في عالم البرزخ.

1-2) سماع الأموات: يعدّ هذا المبحث من المفاهيم المحورية في الحياة البرزخية؛ ويعني سماع الأموات وإدراكهم، وبالرغم من أنّه يعدّ من ملزمات الحياة البرزخية، إلّا أنّه في أغلب مصادر أهل السنة يُعرف ملازمًا لهذه الحياة.

2) الآراء المختلفة حول الحياة البرزخية

ثبوت عالم البرزخ يعدّ أمر متفق عليه عند الشيعة والسنّة؛ لكن توجد العديد من الآراء حول الحياة البرزخية، وسيتمّ الحديث عن كلٍّ منهما فيما يلي. يجب التنويه إلى أنّه نظراً لعدم اختلاف الشيعة الإمامية حول الحياة البرزخية، ووجود هذا الاختلاف بين اهل السنّة، فالآراء الموافقة والمخالفة للحياة البرزخية التي سيأتي الحديث عنها إنما ترتبط بأهل السنّة تحديدًا.

2-1) المؤيدين للحياة البرزخية

وجود البرزخ أمر متفق عليه بين المسلمين، كما أشير إليه سابقًا، وهناك الكثير من الذين يعتقدون أيضًا بالحياة البرزخية، وسيُصاغ الكلام عنهما فيما يلي.

في كتابي صحيح مسلم وصحيح البخاري اللذين يعدّان من أهمّ مصادر أهل السنة، يوجد باب خاص بعنوان«الميتُ يَسمعُ خَفقَ النِّعَالِ»، ويختصّ بسماع الميت لخطوات

3-ذُكر هذا المصطلح في القرآن ثلاث مرات: الرحمن/20 والفرقان/53 والمؤمنون/100، جاء البرزخ في الآيتين الأولى بمعناه اللغوي(الحائل والفاصل بين الشئين)، وفي الآية الثالثة جاء بمعنى عالم بين الدنيا والآخرة.

المشيعين.(النيشابوري، 1407هـ، ج4: 2201 والبخاري، 1422هـ، ج2: 90)، وهذا الأمر يثبت الاعتقاد بالحياة البرزخية، لأن الاستماع يعدّ أحد ملزمات الحياة.

يكتب القرطبي في تفسيره: « ... الميت يسمع قرع النعال إذا انصرفوا عنه، إلى غير ذلك، فلو لم يسمع الميت لم يسلم عليه. و هذا واضح وقد بيناه في كتاب "التذكرة".»(قرطبى، 1364ش، ج13: 233)

صرّح السيوطي أيضًا بسماع الموتى من الأنبياء وغيرهم: «...وَأما الإدراكات كَالْعلمِ وَالسَّمَاع فَلَا شكّ أَن ذَلِك ثَابت لَهُم ولسائر الْمَوْتَى.»(السيوطي، ١٤١٧هـ، ج١: ٢٠٢)

يعدّ ابن قيّم من كبار السلف، ويعتبره الوهابيون من أعمدة مذهبهم و مسلكهم. جمع ابن قيّم آرائه عن الحياة البرزخية وسماع الأموات في كتاب مستقل بعنوان "الروح". جاء في بداية الكتاب وفي أحد الفصول بعنوان "هَل تعرف الْأَمْوَات زِيَارَة الْأَحْيَاء وسلامهم أم لَا" يعتمد على الروايات المتواترة ويدّعي أنّ السلف يعتقدون أنّ الأموات يعلمون بزيارة الأحياء لهم، وفي هذا المجال أيضًا يدّعي التواتر والإجماع:«وَالسَّلَف مجمعون على هَذَا وَقد تَوَاتَرَتْ الْآثَار عَنْهُم بِأَن الْمَيت يعرف زِيَارَة الْحَي لَهُ ويستبشر بِهِ»(ابن قيّم الجوزية، 1996م: 5). حتّى إنّه عرّف مصطلح "الزيارة" سمة لوجود الاستماع والتواصل، و قال: حينما يستخدم مصطلح "الزيارة" فذلك يعني أنّ المزور يعلم بوجود الزائر، ولا تستخدم الزيارة إذا كان المزور لا يعلم ولا يدرك وجود الزائر. كما يعرف أيضًا عمل التلقين سمة أخرى لإثبات الفهم والإدراك للميت في قبره.(المصدر نفسه: 13). فهو يعتقد أنّ الميت يعلم بأعمال أقاربه الأحياء، ويقسّم الأرواح إلى «المعذبة» و«المتنعمة»، ويعتقد أنّ الأرواح المتنعمة تلتقي ببعضها، ويسترجعون ذكرياتهم، لكن الأرواح المعذبة فلا تتنعم بهذه الحرية، في الوقت الذي أرواح المتنعمين تتمتّع بالحرية وتستطيع السير إلى جميع الأماكن.(المصدر نفسه: 17). كما يقول ابن قيّم الجوزية في تفسير الآية: **«وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ»**(فاطر/22) «فسياق الْآيَة يدل على أَن المُرَاد مِنْهَا أَن الْكَافِر الْمَيِّت الْقلب لَا تقدر على اسماعه اسماعا ينْتَفع بِهِ كَمَا أَن من فِي الْقُبُور لَا تقدر على إسماعهم إسماعا يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَلم يرد سُبْحَانَهُ أَن

أَصْحَاب الْقُبُور لَا يسمعُونَ شَيْئا الْبَتَّةَ كَيفَ وَقد أخبر النَّبِي أَنهم يسمعُونَ خَفق نعال المشيعين وَأخْبر أَن قَتْلَى بدر سمعُوا كَلَامه وخطابه وَشرع السَّلَام عَلَيْهِم بِصِيغَة الْخطاب للحاضرالَّذِي يسمع وَأخْبر أَن من سلم على أَخِيه الْمُؤمن رد عَلَيْهِ السَّلَام هَذِه الْآيَة نَظِير قَوْله **«إِنَّك لَا تسمع الْمَوْتَى وَلَا تسمع الصم الدُّعَاء إِذا ولوا مُدبرين»**(الروم/52) وَقد يُقَال نفي إسماع الصم مَعَ نفي إسماع الْمَوْتَى يدل على أَن المُرَاد عدم أَهْلِيَّة كل مِنْهُمَا للسماع وَأَن قُلُوب هَؤُلَاءِ لما كَانَت ميتَة صماء كَانَ اسماعها مُمْتَنعا خطاب الْمَيِّت والأصم وَهَذَا حق وَلَكِن لَا يَنْفِي إسماع الْأَرْوَاح بعد الْمَوْت إسماع توبيخ وتقريع بِوَاسِطَة تعلقهَا بالأبدان فِي وَقت مَا فَهَذَا غير الاسماع الْمَنْفِيّ وَالله أعلم، وَحَقِيقَة الْمَعْنى أَنَّك لَا تَسْتَطِيع أَن تسمع من لم يَشَأْ الله أَن يسمعهُ ان أَنْت إِلَّا نَذِير أى إِنَّمَا جعل الله لَك الِاسْتِطَاعَة على الانذار الَّذِي كلفك إِيَّاه لَا على إسماع من لم يَشَأْ الله إسماعه.»(المصدر نفسه: 45و46)

يقرّ ابن تيمية أيضًا بالحياة البرزخية. فيقول في مجموع فتاويه أنّ الأموات يعرفون أحوال الأحياء، ويستند في هذا الموضوع إلى أحد الأحاديث ويقول، الصحيح هو أنّ الأموات يتضايقون حتى من بكاء ونحيب أقاربهم بعد فراقهم.(ابن تيمية، 1995م، ج24: 370) ما يثير الانتباه هو أنّ ابن تيمية يؤكد على تكلّم الأموات إضافة إلى استماعهم، وفي مبحث الاستماع يستند مكرراً إلى حديث قرع النعال. (المصدر نفسه، ج24: 379)

و كذلك سُئل منه عَن الأحياءِ إذا زَاروا الأمواتَ هَل يَعْلَمون بزيارتهم؟ وهل يَعلمون بالميّت إذا مات مِن قرابتهم أو غيره؟ فأجاب: «...نَعَمْ قَدْ جَاءَتْ الْآثَارُ بِتَلَاقِيهِمْ وَتَسَاؤُلِهِمْ وَعَرْضِ أَعْمَالِ الْأَحْيَاءِ عَلَى الْأَمْوَاتِ...» ثمّ جاء بأحاديث لإثبات هذين الأمرين. (المصدر نفسه، ج24: 331) ردّ أيضًا على من يخص الحياة البرزخية للشهداء، بأنّ الحياة والأرزاق البرزخية لا تختص بهم دون غيرهم.(المصدر نفسه، ج24: 332)

يقول ابن تيمية بعد ذكر روايات، أنّ الأرواح تسمع صوت الأحياء، و يضيف: «...فَهَذِهِ النُّصُوصُ وَأَمْثَالُهَا تُبَيِّنُ أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ فِي الْجُمْلَةِ كَلَامَ الْحَيِّ وَلَا يَجِبُ أَنْ

يَكُونَ السَّمْعُ لَهُ دَائِمًا بَلْ قَدْ يَسْمَعُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ كَمَا قَدْ يَعْرِضُ لِلْحَيِّ فَإِنَّهُ قَدْ يَسْمَعُ أَحْيَانًا خِطَابَ مَنْ يُخَاطِبُهُ وَقَدْ لَا يَسْمَعُ لِعَارِضٍ يَعْرِضُ لَهُ...» و يقول حول الآية **«فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ»**(الروم/52): «فَإِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ سَمْعُ الْقَبُولِ وَالِامْتِثَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْكَافِرَ كَالْمَيِّتِ الَّذِي لَا يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ ... فَالْمَيِّتُ وَإِنْ سَمِعَ الْكَلَامَ وَفَقِهَ الْمَعْنَى فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ إجَابَةُ الدَّاعِي وَلَا امْتِثَالُ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ فَلَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ... »(المصدر نفسه، ج24: 364و365) إذن الروح هي التي يُسأل منها وتتحدث، وهي التي تردّ على الملائكة في القبر، وتتعذب أو تتنعم.

بعد مراجعة كتاب "أحكام تمني الموت" لمحمد بن عبد الوهاب نتوصل إلى أنّه أيضًا كان يعتقد بسماع الأموات. فهو في هذا الكتاب ينقل رواية يشير في أثنائها إلى مسألة سماع الأموات: «أخرج أحمد وغيره عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الميت يعرف من يغسله ويحمله ومن يكفنه ومن يدليه في حفرته" وأخرج أبو نعيم وغيره عن عمرو بن دينار قال: "ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك الموت ينظر إلى جسده، كيف يغسل، وكيف يكفن، وكيف يمشى به، ويقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك." ... وللشيخين عن أنس: "أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قتلى بدر فقال: يا فلان بن فلان، يا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا. فقال عمر: يا رسول الله، كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً".»(محمد بن عبدالوهاب، دون تا، ج1: 15).

نقل محمد بن عبد الوهاب لهذه الرواية وعدم المناقشة و الردّ عليها، يثبت أنّه يقرّ بسماع الموتى، كما تصرّح هذه الرواية بوضوح عن هذه القضية أيضًا.

يكتب الآلوسي في كتاب تفسير روح المعاني قوله: «قال إبن عبد البر: إن الأكثرين على ذلك وهو اختيار ابن جرير الطبرى وكذا ذكر ابن قتيبة وغيره ... والحق أن الموتى يسمعون في الجمله...».(الآلوسي، 1420، ج11: 57)

يتجاوز عدد المؤيدين والمتحدثين عن الحياة البرزخية بكثير ممّا جاء ذكرهم، لكننا نكتفي بهذا العدد للإختصار. بالاعتماد على المطالب والأقوال المذكوره أعلاه، يتضح أنّ أغلبية كبار أهل السنة يعتقدون بالحياة البرزخية ويتفقون مع آراء الطبري.

2-2) المعارضين للحياة البرزخية

مع الكثرة القائلة بوجود الحياة البرزخية، يوجد أيضًا عدد من المخالفين لهذا الأمر، والذين يستندون إلى عدد من الآيات لنفي وإنكار هذه الحياة. من الآيات التي يستند إليها منكري الحياة البرزخية هي الآية:**«وما أنتَ بِمُسمِعٍ مَن في القُبور»**(فاطر/22)، لو كان في القبور إحياء لصحّ إسماع [الموتى].(التفتازاني، 1409هـ، ج5: صص115و116)

يستند عدد من المعتزلة إلى الآية **«إنَّما تُوَفَّونَ أجُورَكُم يومَ القِيمَةِ»**(آل عمران/185)، قائلين: إنما يوم القيامة هو توقيت العقاب أو الثواب، وقيل في الردّ عليهم: «...كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لأن المعنى أن توفية الأجور و تكميلها يكون ذلك اليوم، و ما يكون قبل ذلك فبعض الأجور.»(الزمخشري، 1407هـ، ج1: 449 ؛ محمد رشيد، 1414هـ، ج4: 271)

«قَالوا ياوَيلَنا مَن بَعَثَنا مِن مَرقَدِنا»(يس/52)، هي الآية التي ربما يستدلّ بها أصحاب هذا الاتجاه، فالشخص يُبعث من القبر فجأة، وهو لم يجرّب الحياة هناك.(الطوسي، دون تا، ج7: 355)

تمّ الردّ على هذه الاستدلالات من جانب المفسّرين، وقد لا يتّسع المجال لذكرها جميعًا، لكن سيردّ على عدد منها بذكر أدلّة الطبري.

3)الحياة البرزخية في آراء الطبري

بعد أن تمّ ذكر الآراء والنظريات المختلفة حول الحياة البرزخية، سيأتي الحديث عن آراء الطبري حول هذا الموضوع.

3-1) ماهية الحياة البرزخية في آراء الطبري

يعتبر الطبري البرزخ بمعنى الحائل والمانع بين الشيئين، كما يعتقد بذلك المفسرون الآخرون، ويعتقد بأنها تقع بين الدنيا والآخرة. جاء في شرح و تفسير عدد من آيات القرآن الكريم بالحديث عن معنى البرزخ، من ضمن التفسير الذي جاء به على آيات سورة الرحمن، والذي سيأتي الحديث عنه فيما يلي:

الف) المانع والحاجز: يقول حول هذا المعنى: «بَيْنَهُما بَرْزَخٌ: حاجز، لا يَبْغِيانِ: لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجه، أو لا يتجاوزان حديهما.»(الطبرى، 1412، ج19: 234)

ب) عائق وحاجز من الإدماج: جاء في قسم آخر بأنّ البرزخ حاجز عن اختلاط وامتزاج مياه البحر المالحة والعذبة.(المصدر نفسه، ج19: 16)

ج) مكان بين الدنيا والآخرة: يعتبر الطبري المعنى الآخر للبرزخ بأنه (محل بين الدنيا والآخرة)؛ «...و كل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب، و ما بين الدنيا و الآخرة برزخ.»(المصدر نفسه، ج27: 75)

د) زمان بين الدنيا والآخرة: «هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة» أي زمان محدد بينهما.(المصدر نفسه، ج19: 17).

تحدّث الطبري في فقرات مختلفة عن سماع الموتى وعذاب القبر وغيرهما، وجميعها تدلّ على الحياة البرزخية. لذلك يمكن القول أن تعريفه للحياة البرزخية لا يختلف كثيرًا عن التعريف السائد، أي وجود الإدراك والشعور في عالم البرزخ؛ يعني هذا الأمر وجود حياة للأشخاص بعد مماتهم، وإمّا يعيشون فيها النعمة والأمان وإمّا النقمة والعذاب.

3-2) أنواع الحياة في آراء الطبري

يعتقد الطبري بالعوالم الثلاث(عالم المادة وعالم البرزخ والعالم المجرد) كما يتضح من أحاديثه، لكنه لم يتناولهما على أساس مواصفاتهما وعناوينهما. فقط في تفسيره لبعض الآيات المرتبطة بالحياة قدّم ما يكشف عن اعتقاده تجاه هذه العوالم. إذن فهو يعتقد بالحياة في هذه العوالم الثلاث، لكنه في ظل هذا الاعتقاد أيضًا يؤمن بأنّ الحياة تختص بعالم الآخرة فحسب، ولا وجود لها في الدنيا والبرزخ. يقول في تفسيره الآية: «...**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً**...»(طه/124) أنّ المقصود من الحياة في هذه الآية هي

الحياة الأخروية؛ وذلك يرجع إلى أنّ الحياة تختص بعالم الآخرة دون غيرها، «ومعيشة ضنكا في النار شوك من نار وزقوم وغسلين، والضريع: شوك من نار، وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة، ما المعيشة والحياة إلا في الآخرة.»(الطبري، المصدر نفسه،ج16: 164)

نظراً الى تقبّل الطبرى لعوالم الدنيا والقبر والآخرة، نصل إلى أن الهدف من قوله أنّ الحياة تختص بالآخرة فحسب، هو أنّ الحياة الحقيقية والأصيلة الواسعة، وبغير الحدود المفروضة في الدنيا والبرزخ إنما تتوفر في الآخرة، ومع إطلاق الحياة على ما يعيشه الشخص في الدنيا والبرزخ، إلّا إنهما ليس بحقيقيين.

3-3) آراء الطبري تجاه الحياة البرزخية

يتضح لنا بعد ما جاء ذكره في فقرة المفاهيم للحياة البرزخية في آراء الطبري، بأنّه تقبّل الحياة البرزخية بالاستناد إلى الآيات والروايات التي تتمحور حول عذاب القبر وسماع الأموات، ويعتقد بأنه نوع من الإدراك والشعور في عالم البرزخ. يعتبر هذا التعريف محدودًا نسبيًا من الحياة البرزخية، ولم يفصح فيه عن الجوانب الأخرى من هذه الحياة، لكن هناك عدد من الآثار التي لها صلة بهذا الرأي، وسيأتي الحديث عنها.

3-4) دلائل الطبري لإثبات الحياة البرزخية

يثبت الطبري آرائه حول تقبّل الحياة البرزخية بالاستناد إلى الآيات القرآنية، وسيجري الكلام حول دلائل الطبري التي جاء بها أثناء تفسيره للآيات:

3-4-1) الحياة البرزخية للشهداء

«وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ في سَبيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ»(البقرة/54)

توجد عدد من النقاط ذات الصلة التي صاغ الطبري الحديث عنها في تفسيره لهذه الآية:

1) تختص هذه الآية بالذين قتلوا، أو بتعبير آخر الذين انفصلت الروح عن أجسامهم.

2) يؤكد الله سبحانه تعالى في هذه الآية أن لا تعتبروا الذين قتلوا في سبيل الله أموات، بل هم أحياء عند ربهم يحصلون على أرزاقهم بغاية الفرح والسرور.

3) يعدّ فعلي «يُرْزَقُونَ» و«فَرِحينَ» مضارع وصفة مشبهة، ويدلّان على الفعلية والاستمرار، أي أنهم الآن يأكلون أرزاقهم مسرورين.

4) أنزلت هذه الآية في عهد الرسول الأكرم(عليه الصلاة والسلام) ووجّهت إليه، إذن فلا تزال حتى يومنا هذا لم تصل ساعة القيامة.

5) يمكن تطبيق الآية على الأئمة بشكل صريح، وذلك إن لم نحصرها على شهداء بدر وأحد أو بئر معونة. فجميع الأئمة قُتلوا في سبيل الله.(الطبري، المصدر نفسه، ج2: 24)

وفق هذه النقاط يمكن القول أنّ الطبري تقبّل الحياة البرزخية بشكل عام.

يقول الطبري في تفسير وتأويل هذه الآية: «معناها أنّ الله تعالى يقول لرسوله: يا محمد لا تعدّ الأشخاص الذين قتلوا في سبيل الله أموات، ولا تعدّهم لا يشعرون أو يتمتعون أو يتنعمون، بل الذين قتلوا في سبيل الحق أحياء عندي ويحصلون على رزقهم مني، بغاية الفرح والسرور من كرمي ومن فضلي» يثبت هذا الأمر أنّ الطبري يعتقد بحياة البرزخ للشهداء قبل قيام الساعة. ما هو واضح كل الوضوح أنّ المسلمون هم المخاطبون في هذه الآية، فهم الذين يعتقدون ببعث جميع البشر في يوم القيامة حتى يحصلوا على أجور أو عقاب أعمالهم. إذن التوقيت والزمان الوحيد الذي يظنّ أن الذي مات في سبيل الله فيه ليس حيًا، هو الفاصل بين الدنيا والقيامة – البرزخ –، الله سبحانه وتعالى يعلم أيضًا بهذا الظن الباطل، فيقول لا تحسبوهم أمواتًا، بل هم أحياء ويملكون الحس والإدراك، إضافة على حصولهم لنعم الجنة في البرزخ. يستند الطبري إلى عشرين رواية تتميّز بمضمون واحد، وذلك لتأييد تاويله من هذه الآية، فجميع هذه الروايات تتضمن كيفية تنعّم الشهداء من النعم الإلهية في البرزخ. فيما يلي مثال من هذه الروايات: «... قال رسول الله:" لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم شهداء أحد في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش؛ فلمّا وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولاينكلوا عن الحرب، فقال الله

عز وجل: أنا أبلغهم عنكم" فأنزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات.»(الطبري، المصدر نفسه، ج2: 25).

هناك نقطتان يجب ذكرهما في هذا الحديث الذي يستشهد به الطبري لدعم وجهة نظره:

الأول:بناءً على فحوى الرواية، يعتبر الطبري أنّ المقصود من الحياة في هذه الآية، هي الحياة البرزخية، وليس ما يعرفه عدد من الأشخاص بالحياة أنها تخليد ذكرى واسم الشهيد لدى الناس.(الفخر الرازي، 1420هـ، ج9: 428و429)

الثاني: مضمون الحديث يثبت أن الهدف من إحياء الشهداء هو الحياة البرزخية، وليس الإحياء في يوم القيامة والعبارة القائلة:«... فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم" فأنزل الله عز وجل على رسول الله هؤلاء الآيات» تثبت أنّ الإبلاغ بواسطة الله سبحانه و تعالى من قبل الشهداء إلى ذويهم يكون في الوقت الذي لم تحن القيامة، ولا يزال الرسول وأصحابه على قيد الحياة ويعيشون حياتهم الدنيا، وإنما أنزلت هذه الآية لترغيب الصحابة بالجهاد والشهادة.

ما جاء في تفسير الطبري يثبت الحياة البرزخية للشهداء، بل ويعدّها أمرًا محسومًا لا يدخل الشك فيه.

يثير الطبري سؤالًا في ملحق تفسير هذه الآية الكريمة، بأن هل تختص الحياة البرزخية بشهداء طريق الحق فحسب، أم تشمل جميع الشهداء والمؤمنون والكفّار؟ فيقول أنّ جميع البشر من الكفّار والمؤمنون يمرّون بالحياة البرزخية قبل قيام الساعة، ويستند لإثبات مدعاه إلى الروايات النبوية في وصف حال المؤمنين والكفّار بعد مماتهم: «... فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى الجنه يشمّون منها روحها، ويستعجلون الله قيام الساعه ليصيروا إلى مساكنهم منها ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها، وعن الكافرين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى النار ينظرون إليها ويصيبهم من نتنها ومكروهها، ويسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يقمعهم فيها، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة حذارًا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها مع أشباه ذلك من الأَخبار»(الطبري، المصدر نفسه،ج2: 24و25)

يعتقد الطبري أنّ وفق هذه الروايات، فما من سبب لتخصيص الحياة البرزخية للشهداء، بل وجميع البشر من الكفّار والمؤمنون لهم حياتهم البرزخية بعد مماتهم وقبل قيام الساعة، ويتمتعون بالنعم والرّوح ورياحين الجنة، أو يبقون في العذاب والضيق الأخروي حتى قيام الساعة.(المصدر نفسه)

2-4-3) الحياة البرزخية و تمنّى الرجوع إلى الدنيا

«حَتَّي إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلي يَوْمِ يُبْعَثُونَ»(المؤمنون / 99-100)

يقول الطبرى فى تأويل هذه الآية: «حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، و عاين نزول أمر الله به، قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله، سأل الله أن يرجعه إلى الدنيا كى يعمل صالحاً...» ثمّ نقل هذه العبارة عن يونس: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: رَبِّ ارْجِعُونِ قال: هذه في الحياة الدنيا، ألا تراه يقول: حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قال: حين تنقطع الدنيا و يعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت.»(الطبرى، المصدر نفسه، ج18: 40)

قد يفهم من هذه العبارة أن الطبرى يعتقد بأن «طلب الرجوع إلى الدنيا مِن قِبَل المشركين»يكون فى حياتهم الدنوية و بتعبير آخر، هويعتقد بأن زمان هذا الحوار يرتبط بمراحل الموت و فى فترة سكرات الموت و قبل أن تنقضى الحياة الدنيوى تماماً. و فى هذا الوقت، يُدرک المشركون موقفَهم و يسألون الله الرجوع إلى الدنيا بسبب شدة العذاب الذى ينتظرهم. لهذا فلا يعتبر الطبرى هذا الجزء من الآية دليلاً على وجود الحياة البرزخية.

3-4-3) حياة "آل فرعون" البرزخية

«فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ»(غافر/46)

و أشار الطبرى في ملحق هذه الآية إلى قصة بنى إسرائيل الذين هربوا مع موسى(عليه السلام) من فرعون، و أورد قصة حوار مؤمن آل فرعون و موسى(عليه السلام) و يبين أنه كان يسأل موسى(عليه السلام) دائماً: أين نذهب؟ و موسى(عليه السلام) يقول

مجيباً: ننطلق نحو الأمام، ثم يجيبه(مؤمن آل فرعون) إن أمامَنا البحر فقط، و موسى(عليه السلام) يقول: صدقت، و بعد أن وصلوا إلى البحر، أُوحِيَ إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر حتى يتبدل و يصير رهواً و مسيراً لإنقاذ بنى إسرايل، و بعد هذا الواقع و إنقاذ موسى(عليه السلام) و قومه، أُغرِقَ آل فرعون فى البحر.(الطبري، المصدر نفسه، ج 24، ص 45)

و الطبرى ينقل روايات و يشير إلى حال قوم فرعون فى البرزخ، و يقول إن أرواحهم تحولت إلى طيور سوداء و تتعذب فى البرزخ إلى يوم القيامة.(الطبري، المصدر نفسه، ج 24، ص 48) وبنقل هذه الروايات يشير الطبري بشكل غير مباشر إلى الحياة البرزخية.

4-4-3) حياة "قوم نوح" البرزخية بعد الغرق

«مِمَّا خَطيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً»(نوح/25)

يشير الطبرى في ملحق هذه الآية إلى المباحث اللغوية فى الروايات الدالة على دعاء نوح(عليه السلام) على قومه بالعذاب و ينقل كيفية العذاب فى سرد روايات متعددة، و لكن لا يشير صريحاً إلى حياة قوم نوح البرزخية.(الطبري، المصدر نفسه، ج 24، ص 63)

و حسب ما قلنا، لقد قبل الطبرى الحياة البرزخية. وفي ما يلي نناقش منهج الطبرى فى تفسير الآيات الناظرة إلى الحياة البرزخية.

4) منهجية الطبري التفسيرية

المنهج الكلّى الذى يستعمله الطبرى فى تفسير القرآن هو أنه بعد ذكر كل آية، يبيّن وجهة نظره فى تفسير تلك الآية فى بحث تمهيدى ثم – اذا وجد– يذكر سبب نزول الآية و القرائات المختلفة فيها. فى تفسير الآيات، فى البداية هو يختار آية أو آيات تحت عنوان «القول فى تأويل قوله تعالى» و يبدأ كلامه غالباً بعبارة «يقول الله جَلَّ ثناؤه»، و من ثم يبدأ فى تفسير الآيات بنقل أقوال الصحابة و التابعين، و بالنهاية و بعد مناقشة و توضيح الأقوال و الآراء، إما يختار القول الراجح و إما يعبّر عن رأيه

بعد إقامة الأدلة على ردّ الأقوال المختلفة. فينقل سلسلة السند بشكل كامل ثم يذكر الروايات المرتبطة بتلك الآية و يقضى بينها بإمعان النظر و بالنهاية يبيّن رأيه على حذر و بشكل قصير فى كثير من الموارد. وحدته التفسيرية فى تفسير السور الإبتدائية، هى جزء من الآية فقط، و كلما يمضى فى التفسير، تتبدل هذه الوحدة إلى آية كاملة و فى السور الأخيرة تصير عدة من الآيات معاً.

ينبغي أن يذكر أنّه وإن كان منهج الطبري السائد في التفسير، روائياً؛ لكنه إضافة على الروايات، قد استفاد أيضاً من سائر آيات القرآن و علم اللغة و اسباب نزول الآيات و الشعر و الأدب العربى.

حسب المطالب المذكورة أعلاه، كان من نقاط قوة الطبري في المناهج التى استخدمها في تفسيره، هو تنوّع و تعدد الأساليب، و يمكن أن نشير إلى "استخدام الأسرائيليات" و "عدم التوجه إلى سند الروايات" كواحدة من نقاط ضعفه. لذلك نشاهد أيضاً هذا الضعف فى تفسير آيات البرزخ التى ستؤثّر حتماً على تفسيره من هذه الآيات.

5) أساسيات الطبري فى نظرية المعرفة و علم الوجود

بما أن المبادئ و الأسس الفكرية للناس لها دور مهم في نظرتهم المختارة فى كل شيء، فكان من الضرورى أن نبيّن الأسس و المبادئ الفكرية للطبرى، من أجل دراسة وجهة نظره.

5-1) أسس علم الوجود عند الطبري

الموقف المستقل بالنسبة إلى علم الوجود، هو الذى يبحث عنه في مجال الموقف الفلسفي. لكن يمكن أن يقال بأن لا توجد مدرسة فكرية خالية من علم الوجود. لأنه كل فكر – بناءً على نوع موقفه بالنسبة إلى عالم الوجود، ينظم مجالاته المعرفية والعملية. و عموماً يمكن أن يقسّم المواقف – نسبةً إلى عالم الوجود – إلى المسلك الإلهى و المسلك المادى. و فى الموقف المادّية، يعتبر كل شيء مادياً، بل و أضيق من هذا، كل ما يقبل التجربة أصيلاً و حقيقيّاً. و الحال أن الموقف الإلهى لا ينحصر فى المادة، بل يجب أن نبحث عن الحقيقة الأصيلة الدائمة وراء هذا العالم المادّى.

معرفة "الايمان بالغيب" و بالتالى "عالم المادة و المجرد عن المادة" هى المعرفة الأساسية الإبتدائية التى يحسبها القرآن من خصائص أهل الايمان. و بناءً على اعتبار منبع الوحى عند الطبرى، العالَم الآخَر الذى أثبته القرآن يعنى عالم البرزخ هو الذى يشكّل العالم بصورة عامة.

بناءً على المباحث المطروحة، يعتقد الطبرى بالعالم المجرد [عن المادة]. و يتوضح هذا الأمر من خلال كلامه حول القيامة. و نظراً إلى قبول عالما وراء المادّة، فالبرزخ أيضا الذى هو عالم بين الدنيا و القيامة، يُثبَت من قِبَل الطبرى، و إن لم يلمح إلى تفصيلاته.

2-5) أسس المعرفة الدينية عند الطبري

نظرية المعرفة (epistemology) هى فرعٌ من العلوم الذى يعود أصله (بصورة علم مستقل) إلى الغرب. و فى الفلسفة الاسلامية فى القرن الحادى عشر، تمّ أخذُ القضايا المعرفية بعين الإعتبار من ناحية معرفة الوجود و الحكاية عنها عبر المناقشات التى أجراها "ملا صدرا". و لذلک، سنستفيد من منهج الطبرى و وجهة نظره بالنسبة للمعرفة و التزامه بها فى أُسَس نظرية المعرفة التى سنعدّها له. و جدير أن نقول أنّ المراد من "أسس نظرية المعرفة" فى هذا المقام، هى المبادئ الأصلية بخصوص معرفة الدين.

و من جملة المباحث التى يلفت نظر المفكرين المسلمين فى نظرية المعرفة، هى التعريف و المأخذ و القيمة و ملاک الصدق فى المعرفة الدينية. و المعرفة الدينية عند الطبرى، هى مجموعة من المعارف بالنسبة للدين فى العقائد و الاخلاق و الاحكام؛ و بعبارة أخرى، الأحكام و الضروريات التى أنزلت على النبى الأكرم(صلى الله عليه و آله) والتى عليه و على أصحابه بيانها.(الطبرى، المصدر نفسه، ج1: ص 27)

و القرآن الذى هو وحى من الله سبحانه و تعالى، عند الطبرى هوالمصدر الوحيد للمعرفة الدينية. و الشخص الأول فى تفسير الوحى – الذى يعبر الطبرى عنه بالتأويل – هو رسول الله(صلى الله عليه و آله) و لهذا كان تفسير الطبرى مبتنياً على الروايات؛ و إلى جانب الروايات، أقوال الصحابة و فهمهم أيضاً يعتبر حجة عند الطبرى. و فى الخطوة التالية، يكون لفهم العرب من لسان القرآن حجية فى معرفة النص الدينى. و

الكلام و اللفظ عند الطبرى، موضوع لنقل المعلومات من المؤلف أو المتكلم إلى المخاطب، و القرآن كلام مبين الذى تحقق فيه هذا الامر بأحسن وجه، لأن المتكلم هو الوجود الأعلم فى الكون.(المصدر نفسه، ج 1: ص6) و فى نقل هذا المعنى، هناك العديد من الأمور التى يهتمّ بها الطبرى، منها: اللغة العربية، والمخاطب. و في رأى الطبرى، يمكن أن نقسم مخاطبي القرآن إلى ثلاث درجات: المخاطب الأول: يعنى رسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) والمخاطب الثانى: يعنى الأشخاص الذين يتكلمون باللغة العربية، والمخاطب الثالث: هم سائر الناس الذين لا يتكلمون باللغة العربية. و بحسب تقسيم الطبرى هذا، كان للفهم أيضاً هذا الترتيب؛ ففهم الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) من الكتاب المبين يجب أن يكون الأكمل، لأن الكلام فى غير هذه الصورة عبث. و فى الدرجة التالية، فهم العرب، لأن القرآن نزّل باللغة العربية و بلسانهم، و هذا يسبب أن فهمه للعرب يتميز عن فهم غيرهم و أيضاً فهم بعض الآيات يسير للكلّ.(المصدر نفسه، ج1: ص6و7). وفقاً لمنهج الطبرى في فهم الوحى، نستطيع أن نعتبر مقام العقل محدوداً بالعقل الآلى، لأنه مضافاً إلى إستخدام الروايات و الانتباه إلى الألفاظ، يؤكد على عدم التفسير بالرأى و يقدم للعقل مكاناً غير آلة لفهم تفسير النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله). و يعتبر التفسير بالرأى من الفواحش[4]. و نطاق هذا التفسير بالرأى توسع حتى يشمل الموارد التى تطابقت إرادة الله سبحانه [من الآية] لأن المتكلم، لا يعلم هل يطابق تفسيره إرادة الله تعالى أم لا.(المصدر نفسه)

بناءً على رأى الطبرى بأن الوحى المصدر الوحيد للمعرفة الدينية، يمكن إثبات الحياة البرزخية عن طريق الوحى فقط، و هو أيضاً ملتزم بالعمل بهذا المبنى و استفاد من آيات القرآن فى إثبات هذا المطلب. و من جهة أخرى، يرى الطبرى فهم النبى(صلى الله عليه و آله) أكمل بيان للوحى، فلذلك استخدم روايات النبى(صلى الله عليه و آله)

4. «...أن تقولوا على الله ما لا تعلمون فالقائل فى تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي جعل الله اليه بيانه قائل بما لا يعلم و ان وافق قيله ذلك فى تأويله ما أراد الله به من معناه لان القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به» (الطبري، المصدر نفسه، ج1: ص27)

في ملحق آيات البرزخ و لا يعتبر الحياة البرزخية أمراً عقلياً لكي يمكن أن يعطى أىّ دليل عقلى؛ بل تستند إلى النقل.

6) ثمرات آراء الطبري حول الحياة البرزخية

نظراً إلى قبول الطبري الحياة البرزخية، قد يترتب على آرائه عدة آثار التى نبيّنه في التالي:

6-1) سماع الموتى

كما قلنا سابقاً، سماع الموتى كان بمعنى أن الأموات يدركون و يسمعون. و السماع هو أحد أبعاد الحياة، لهذا بمجرد قبول وجود الحياة فى البرزخ، يثبت السماع للموتى أيضاً و بالتالى يعقل مسائل أخرى نحو زيارة القبور، و الحداد على الأموات و التوسل و ... التى ستبيّن فى الآتى؛ لأن جميع هذه الموارد، تترتب على إدراك الأموات. و الطبرى يصرح بسماع الموتى و قد أثبته فى مواضع مختلفة.

6-2) بناء القبور

بناء القبور، بمعنى إيجاد أى نوع من الأبنية على قبور الأموات الذى تتبدل إلى اصطلاح [مستقل] بسبب طرح المباحث الفقهية و الكلامية العديدة فيه. و يكون القيام بهذا العمل مبنياً على العقيدة بالحياة البرزخية وحياة الموتى في البرزخ ويقصد بذلك الإحترام و التكريم لهم، و الحال أن بعض المكاتب لم تقبل هذه المسألة و بالتالى، يرفضون بناء القبور. ولكن بعد اثبات الحياة البرزخية و لوازمها كوجود الإدراك و الشعور للأموات، سيكون بناء القبور أيضاً أمراً معقولاً.

6-3) الحداد

كان الحداد موجوداً منذ بداية الإسلام و كان المسلمون يبكون فى مصيبة فقدان أحبتهم، و كمثال استشهاد حمزة و وفاة الخديجة الكبرى و أيضاً جمعيات التعزية التى أقيمت أو تقام بعدها فى مصاب الإمام الحسين(عليه السلام). ولكن بعض المكاتب و المذاهب الدينية يرون هذا العمل محرّماً، ويحتجّون بإستدلالات فى هذه المجال التى لا يسعها هذا المقال. وكان أحد الدلائل التى يقيمون على نفى الحداد على الأموات، هو

الاعتقاد بعدم وجود الحياة و الإدراک للموتى. ولكن مع قبول الحياة البرزخية، ستثبت بطلان هذه النظرية وستكون إقامة الحداد محكومة بالصحة.

6-4) الإحتفال

إقامة الإحتفالات في ذكرى ولادة الكبار الذين ليسوا فى قيد الحياة، أيضاً من الموارد المقبولة بإعتبار الحياة البرزخية. و كما قلنا سابقاً، كان أحد دلائل نفى إقامة الحداد و الإحتفالات مِن قِبَل منكرى هذه المجالس، هو عدم الاعتقاد بالحياة للموتى.

6-5) الزيارة

من النتائج الأخرى للإعتقاد بالحياة البرزخية، هى صحة زيارة أهل القبور؛ و كما جاء فى الروايات أنه لمّا يتوفى الأشخاص، اذهبوا لزيارتهم، و في بعض الروايات إشارة إلى خصوص زيارة قبور الوالدين، و طلب الحوائج على قبورهم من قِبل أولادهم. و من لوازم صحة زيارة اهل القبور والتأثير المترتب عليها هو أن يكون للأموات حياة فى البرزخ، وهذا هو الاعتقاد السائد لدى المسلمين.

6-6) التوسل

و من أهم النتائج المترتبة على الاعتقاد بالحياة البرزخية، هو التوسل؛ و التوسل يعنى الاستمداد من أولياء الله من أجل استجابة الدعاء. و لو نقبل الحياة البرزخية كان للتوسل معنىً أيضاً لأنه بهذا الوصف، أولياء الله يكونون أحياء فى البرزخ، يسمعون صوتنا و يروننا و لهم القدرة فى التصرف فى أمور الدنيا بإذن الله تعالى. و لكن فى المقابل، عدم قبول الحياة البرزخية، ينفى الاعتقاد بالتوسل لأنه المرء يعدم بالموت و ليس له قدرة على التصرف فى الأمور الدنيوية حتى يكون لشخص آخر حاجة إليه.

6-7) شدّ الرحال

الرحال، جمع " الرحل " بمعنى شىء كالسرج التى يرمونها على ظهر الإبل. و من حيث أن شدّ رحل الإبل لازم للسفر، فيُستَخدم كلمة «شدُّ الرحال» بصورة كنائية فى جميع أنواع السفر (بالخيل والجمل وغيرهما)(العينى، دون تا،ج7: 252)، و أهل السنّة يدّعون بأن السفر لقصد زيارة قبور أولياء الله حرام مستنِدين بحديث من النبى(صلى الله عليه و آله): « لا تُشَدّ الرحال الا الى ثلاث مساجد: المسجد الحرام و مسجدى هذا و

المسجدالاقصى»(البخارى، 1407هـ، ج1: 398) بغضّ النظر عن المناقشة السندية و الدلالية للرواية المذكورة، شدّ الرحال و السفر لزيارة أولياء الله هو أمر ممدوح على فرض إثبات الحياة البرزخية.

8-6) الإستغاثة

فى بداية الأمر، يمكن أن نتصور الإستغاثة بمعنى التوسل؛ و لكن فى الحقيقة لهذه الكلمتين معنيان مختلفان؛ و كما قلنا قبل هذا، التوسل يعنى الاستمداد من أولياء الله من أجل استجابة الدعاء، و هذا يعنى أن نجعل أولياء الله وسائط بيننا و بين الله لكي يقضى الله سبحانه و تعالى حوائجنا بالنظر إلى عظم مقامهم؛ و لكنّنا فى الإستغاثة، نذهب إلى أولياء الله مستقيماً حتى نطلب حوائجنا منهم. و بناءً على قبول الحياة البرزخية، ستكون الإستغاثة من أولياء الله الذين ليسوا بالحياة المادية أمراً صحيحاً.

النتيجة

أن الحياة البرزخية هى من أهم المعارف الدينية التى ستصير قبولها أو ردّها مبدأً للعقائد التى تظهر آثاره العملية فى المجتمع الإسلامى. و لا يوجد هناك بين الشيعة اختلاف معتنى به فى هذه المسألة، بل يوجد أكثر تنوع الآراء فى هذه المسئلة بين أهل السنة. واليوم بعض المكاتب – و ينتسبون أنفسهم إلى أهل السنة – يقومون بنفى بعض عقائد الشيعة و من خلال التأمل فى آرائهم، يتوضح أن مبنى هذا الإعتقاد هو عدم قبول الحياة البرزخية. فلذلك، كان البحث عن الحياة البرزخية و خصوصاً مناقشة آراء أهل السنة فى هذا المجال، في غاية الأهمية. و الطبرى، من أعلام مفكري أهل السنة قد قبِل الحياة البرزخية و قدّم أدلة لإثباتها. و بقبول الحياة البرزخية عن جانب متفكّر سنّى، سينتفى رأى المنكرين لعقائد الشيعة و لابدّ لهم من قبول آثار هذا الرأى الصحيح. من الآثار المترتبة على هذا الرأى: تقبّل قضية التوسّل بالأموات وتصديق قيام الاحتفالات ومراسم الحداد لهم، والاعتقاد ببناء القبور وزيارة الأموات وغيرها.

المنابع

القرآن الكريم.

ابن قيم الجوزيّه، محمد بن ابى بكر، (1996م)؛ الروح فى الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنه، بيروت: دارالفكر العربى.

----------، (1428هـ)؛ زاد المعاد فى هدى خير العباد، قاهره: دارالآفاق العربيه.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)؛ لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة.

الآلوسى، محمود بن عبد الله، (1420هـ)؛ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، بيروت: دار احياء التراث العربى.

البخارى، محمد بن إسماعيل، (1422هـ)؛ الصحيح البخارى، بيروت: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى.

التفتازانى، مسعود بن عمر، (1409هـ)؛ شرح المقاصد، تحقيق: عبدالرحمن عميره، قم: منشورات الشريف الرضى، الطبعة الأولى.

التميمى النجدى، محمد بن عبدالوهاب، (دون تا)؛ أحكام تمنى الموت، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد السدحان، عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، رياض: جامعة الإمام محمد بن سعود.

الحرّاني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،(1995م)؛ مجموع الفتاوى، مدينه: مجمع الملک فهد لطباعه المصحف الشريف.

دشتى، سيد مصطفى، (1378ش)؛ معارف و معاريف، طهران: موسسة آية.

رضا، محمد رشيد، (1414هـ)؛ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، بيروت: دارالمعرفه، الطبعة الأولى.

الزمخشرى، محمود بن عمر، (1407هـ)؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل، تصحيح: مصطفى حسين احمد، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.

السيوطى، عبد الرحمن بن أبى بكر، (1417هـ)؛ شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبى، لبنان: دارالمعرفة.

صليبا، جميل، (1393ش)؛ فرهنگ فلسفى، طهران: منشورات حكمت.

الطبرى، محمد بن جرير، (1412هـ)؛ جامع البيان فى تفسير القرآن، بيروت: دارالمعرفه.

الطوسى، محمد بن حسن، (دون تا)؛ التبيان فى تفسير القرآن، بيروت: دار احياء تراث العربى، الطبعة الأولى.

العيني(الغيتابي)، محمود بن احمد(بدر الدين)، (دون تا)، عمدة القارى(شرح صحيح البخاري) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الفخر الرازى، محمد بن عمر، (1420هـ)؛ التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، بيروت: دار احياء التراث العربى، الطبعة الثالثة.

القرطبى، محمد بن أحمد، (1364ش)؛ الجامع لأحكام القرآن، طهران: ناصرخسرو.

المكارم الشيرازى، ناصر، (1374ش)؛ تفسير نمونه، طهران: داراكتب الاسلاميه، الطبعة الأولى.

النيشابورى، مسلم بن الحجاج، (1407هـ)؛ صحيح مسلم، لبنان: مؤسسة عزالدين.